



عصفور من الشرق

تأليف الأستاذ نرفيس الحكيم

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

—>>><<<—

هذه نفحة أخرى لصاحب أهل الكهف وشهر زاد ، نفحة فيها روح توفيق الحكيم وفن توفيق الحكيم ، حتى لو أن الكتاب الذي يزجها إليك كان غفلاً من اسم مؤلفه ما استطعت أن ترده إلا إليه ...

ولقد انتظرت هذا الكتاب منذ أن أعلن عنه ، فلما تفضل مؤلفه الفاضل بإرساله إلى أقبلت عليه فتلوته ، ولشد ما رغبت لو أنه طال عما هو عليه ليطول بذلك استمتاعي بتلك اللذة الساحرة التي لن يظفر بها المرء إلا في أمثال تلك القصة من الآثار الفنية العالية ؛ وهانذا أقدم الكتاب لقراء الرسالة لا أبتنى إلا أن أدلم على متعة قوية أحب لهم — من فرط ما أمجيت بها — أن يشاركوني فيها

ولو كان المجال هنا مجال نقد يبسط موضوع الكتاب ويعرض لدقائق الفن فيه ، لخشيت أن يحملني إعجابي به على القلو ، ولكني الآن بنجوة من هذا ، فقصاراي هنا الوصف المحدود ؛ ذلك أن الكتاب كثيره من الآثار القيمة جدير أن يفرد له صفحات أوسع من هذا المجال الذي تركه لي الرسالة اليوم ...

قوة هذا الكتاب وخطره منحصران فيما يتضمنه من فكرة تستطيع أن تجعلها في مسألة هي روحية : إنسرق ومادية الغرب ؛ أما القصة في ذاتها فبسيطة سهلة لا التواء فيها ولا جلبة ولا حركات مثيرة ولا مفاجآت قوية ولا غير هذه من ضروب الاستهواء التي تضادها في بعض القصص ؛ ولقد جاءت تلك البساطة

نوعاً من الجمال في الكتاب فكان كأنه راسين سحره في عمق الفكرة ودقة الفن لا في مثيرات الحكاية

هذا محسن فتى شرق يقيم في باريس ويعرفه الناس بأنه « عصفور من الشرق » تفغ عيناه على حسناء من حسان باريس فنستأثر بلبه ويأخذ حسنها بمجامع قلبه ؛ فإذا به يعيش بخياله الشرقي وروحانيته الشرقية عيشة أهل الجنة على هذه الأرض ؛ وتنبأ له سبل الاتصال بالفتاة ومجالستها ومصاحبها حتى يصطدم بالواقع ويرى أنها لا تحبه وأنها تخدعه فيكون موقفه — كما صور المؤلف — موقف آدم عند خروجه من الجنة ...

تلك هي الحادثة ، وهي كما ترى بسيطة غاية البساطة ، ولكنها على بساطتها مليئة بألوان السحر والفن فوصف شعور محسن في حبه بهيج النفس وعلوها نشوة ، وبراعة الحوار والمناجاة هي السحر بعينه ، بله دقة الفن وحسن سبك

على أن خطر الكتاب وقيمه — كما قدمت — في فكرته ؛ ولقد استطاع قصاصنا الكبير أن يدلي بأرائه على السنة أشخاص صورهم أحسن تصوير وأبرعه ، فهذا هو محسن وهذا هو أندريه الغربي الذي لا يعرف خيالاً ولا شعراً ؛ والذي يعتبر تقيماً لمحسن يهزأ به وبأحلامه يسوقهما المؤلف لترى فيهما روح الشرق وروح الغربي ، ثم هذا إيفانوقتش الروسي العامل الذي يجرى المؤلف على لسانه الجزء الأكبر من فلسفته ، ثم هذه هي سوزان الباريسية الحسنة التي أحبها محسن ، إلى غير هؤلاء من الأشخاص الذين صورهم المؤلف أصدق تصوير وأجمله ؛ ولو أنني أردت أن أدلك على مواضع الجمال والقوة فيما جرى على ألسنتهم من آراء ؛ لدللتك على الكتاب كله ، ولست — شهد الله — أغلو في ذلك ولا أسرف ؛ ولم يقتصر المؤلف الفاضل في تصوير حياة الغرب على الآراء التي أجراها على ألسنة هؤلاء الأشخاص ، بل لقد صور لنا عدة مناظر من الحياة ذاتها كالأميرة التي كان

في كل نوع صموا يشعر في كل قصة كأنه أوقف على لونها فنه ومواجهه ، ولقد يحسب بمض النقاد هذا مستحيلا أو يمدونه نقصا ويستشهدون على ذلك بأن كثيرا من كبار القصاصين يقتصر الواحد منهم على لون لا يحسن غيره ، ولكن توفيق الحكيم يقيم الدليل القاطع على غلوم في هذا الزعم ، وما ذاعسى أن يحول بينه وبين الاجادة في كل نوع والمسألة كلها مسألة قصص وهذا فن ركب في فطرته وإن له من قوة روحه وعمق فلسفته وسعة ثقافته لمين لا يتعجب ؟ إننا لا يسعنا كما أسلفت في معرض آخر إلا أن نمتز بقن توفيق الحكيم كظهور من مظاهر نهضتنا الثقافية وما أحوجنا إلى أمثاله في جميع نواحي حياتنا الأدبية والعلمية . أجل ما أحوجنا إلى أمثاله الناشرين الذين يردون بالعمل الناضج الفذ على الذين يرموننا بالقصور وينكرون علينا استمدادنا للتفوق . فليتقبل مني الأستاذ النابه هذه المجاملة نبجلة معجب ونحبة

صديق

الطيب

رحلة المحيط الهندي

في سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الانسانية في سنى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عيسى

بقلم

حسين فوزي

١٢ قرشا أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشا

يميش فيها قبل انتقاله إلى التزل وكالسرحة وحفلات الموسيقى وغيرها فأحاط كتابه بجو بديع ؛ ولم يكن - شأنه في ذلك شأن الفنان المتمكن من فنه - بمرض من الصور والمناظر إلا ما يستلزمه إبراز الفكرة الفلسفية التي تدور عليها القصة ؛ انظر إلى الولد الصغير يوحى إليه بمحاربة البوش والشيخ السن يبدى تدمره واستيائه إذ يمرض لحال الحال وربة الأسرة تخشى أن يرحل محسن إلى جهة أخرى ولا مرتزق لهم إلا ما يدفع من أجر ، تر صوراً قوية أخاذة لحياة الغرب يقدمها المؤلف بين يدي فكرته في مهارة تحمك على الإعجاب ...

ولقد كان في التمييز عن فكرته بهذه الطريقة موقفاً جهداً التوفيق ، فليس أوقع من الإيماء والاشارة في تصوير المعنى الفلسفي المراد ؛ نجد ذلك في الشعر وهو الصور القاعمة على اللفظ وتجدد في التصوير بالألوان ، وتجدد في الموسيقى ؛ ولعمري ما يستطيع عالم من علماء النفس مهما اتسعت آفاق علمه أن « يصور » لك الأناني أو المخاقل أو النيران أو الجشع أو اللثيم أو غير هؤلاء كما يستطيع أن يفعل رجل الفن ، فرسم الصور الحية عمل ذلك الفنان ومنها تأخذ من المعاني ماشئت وشتان بين الصورة الحية والمعاني المجردة ؛ وهل قامت عظمة شكسبير ودكنز وجوته وهوجو وراسين وأضرابهم إلا على ذلك الفن الذي يخلق من المعاني الحية ؟ وإنك لتستطيع أن ترد نجاح توفيق الحكيم ونباهة شأنه إلى هذه الموهبة الفنية أكثر مما ترده إلى أي شيء آخر وأحب أن أشير هنا أن شخصية محسن هي كما يدرك القارئ دون عناء شخصية المؤلف نفسه تتجلى هنا كما تجلت في قصة « عودة الروح » كما أحب أن أشير على الرغم من ضيق المجال أن هذا الكتاب يقدم لنا دليلاً جديداً على أن فن توفيق الحكيم في القصة فن غير مقصور على ناحية معينة ، ولقد قدم لنا في أهل الكهف وشهر زاد لوني من ألوان القصة المسرحية ، ثم أرائنا في عودة الروح لونا من ألوان القصص غير المسرحية ، وفي يوميات نائب في الأرياف أتى بنوع جديد يمد من القصص الاسلاحية ، ثم هو في هذه القصة الأخيرة بأبي إلا أن يتدع فهو كما ترى لا يتخصص في نوع واحد ، ولكنه مع ذلك يسمو